مكتبة المقتطف

أصول النقد الأدبي

تأليف الاستاذ أحمد الشايب مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالاسكندرية

٣١٢ صفحة من القطع الكبير ٢٥ في ١٧½ — الاسكندرية ١٩٤٠ — الثمن ٥ قروش مصرية

وهذا كتاب جديد يخرجه الاستاذ الشايب مدرس اللغة العربية وتاريخ آدابها بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالاسكندرية. وهو يضم بين دفتيه محاضرات النقد الأدبي بالكلية القاها مؤلفها على طلبته في الصف الاول. ثم جمعها في هذا الكتاب لتكون هي، وتلك الفصول البلاغية التي نشرها — في العام الماضي بعنوان «الأسلوب» — مقدمة لدروس الأدب العربي، يسترشد بها الطلاب حين يحللونها في الصف الثاني في السنة القادمة. فالكتاب من هذا مدرسي غير أن فائدته تتجاوز في الواقع دائرة صفة كلية الآداب بالاسكندرية الى جميع المشتغلين بالأدب في العالم العربي وذلك من حيث أنها تعرض النقد الأدبي كفن له اصول علمية مضبوطة وقواعد أدبية منظمة. وهذا الكتاب يعتبر الاول من نوعه وفي موضوعه باللغة العربية إذ استقت تلك الكتب القديمة التي تأثرت بها القضايا والآراء النقدية بلا انتظام كطبقات الشعراء لابن سلام وعيار الشعر ونقد النثر لقدامة والشعر والشعراء لابن قتيبة والمثل السائر لابن الاثير وأسرار البلاغة للجرجاني والعمدة لابن رشيق وطبقات الشعراء لابن المعتز وبعض المؤلفات الحديثة التي تأثرت بهذه المطالعات النقدية والتي جاء فيها ذكر بعض قواعد النقد الأدبي وأصوله عرضاً كمقدمة احمد ضيف لدروس البلاغة للعرب وبعض فصول الزيات وطه حسين والعقاد وزكي مبارك وأمين الخولي وحقيقة أن اللغة العربية لم تعرف قبل هذا الكتاب مؤلفاً شاملاً لخصائص القضايا والآراء النقدية الواردة في كتب النقد العربية للأصول النفسية الحديثة والقواعد الفنية المنظمة التي توضع عليها أئمة النقد من الغربيين؛ وأحمد الشايب في

(١) مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة لاحمد الموسوي بك وعبد الحميد العوني بك

كتابه هذا لا يدعي انهُ فتح فتحاً جديداً ولا سدّ نقصاً قديماً . وانما هو متواضع الى أقصى حدود التواضع العلمي . فيقول : انهُ بكتابه لم يفعل اكثر من أن قام بدعوة صادقة للنقد الفني المنظم . هذا والاستاذ الشايب صاحب نظرية في الأدب العربي والنقد الأدبي لا يقيس المقاييس النقدية الشائعة في الآداب الاجنبية . ولما كان النقد عنده وليد الأدب لا العكس ، فانك تجد المبادىء النقدية الاجنبية تحولت في يده الى صورة تتكافأ وطبيعة الأدب العربي وتبدو كأنها مشتقة من خصائصه وماهيته . وهذه ظاهرة تتمثل بوضوح في معظم مطالعات الكتاب ومن هنا يجب عدم النظر اليها في ضوء طبيعة الآداب الفرنجية وخصائصها .

في هذا المؤلف يتناول الاستاذ الشايب البحث الأدب من حيث هو ، ومن حيث العوامل المؤثرة فيه ، ومن حيث وظيفته في الحياة ، ومن حيث صلاته بالعلم والفن ويتدرّج من ذلك الى كيفية دراسة الأدب وهي مفتاح النقد الأدبي . وفي هذا القسم من المقالات والآراء ما يستحق وقفة للتدبر وامعان النظر خصوصاً ما يتعلق بالادب من حيث هو ومن حيث مدلوله اللغوي والاصطلاحي . وقد مال في بحثه هذا مع الطريقة التقليدية في دراسة تاريخ اللفظة دون ان يفطن الى ان القاعدة «الفيلولوجية» في دراسة تاريخ لفظة تبدأ من عهد تسجيلها ومن هنا لا معنى للنظر في النصوص التي ورد فيها لفظة الأدب والتي تنسب الى الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموي ، فجميعها روايات لم تدوّن في حينها . ومن هنا لا يمكن الركون اليها الاّ بالجملة من حيث الدلالة على المعاني التي كانت تتجاذبها قبل فترة التدوين . وهي في أواخر القرن الثاني للهجرة في لغة العرب . ومن هنا فكل الآراء التي تقال في صدد منشأ لفظ «أدب» ظنية لا تغني عن الحقيقة شيئاً . ومجموعة النصوص المنسوبة الى الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموي والتي جاء فيها لفظة أدب تدل على ان هذه اللفظة كان يتنازعها الجانبان الحسي والمعنوي الحسي من حيث يدل على المعنى الحقيقي والمعنوي من حيث يدل على المعنى التخييلي . فالكلام المنسوب الى النعمان بن المنذر وعلقمة بن علاثة ما يدل على المعنى التخييلي وفي الكلام المنسوب الى علي بن أبي طالب والرسول ما يدل على المعنى الحقيقي (الكتاب ص ٤٥) وانتصار هذين الجانبين كانا يتنازعان عقل كتّاب العرب في أواخر القرن الثاني حتى حين كلام الجاهليين وأهل صدر الاسلام . ويؤيد هذا الظن ان التدرج المفهومي والمعنوي مفقود في الترتيب الزمني لهذه الروايات والنصوص

ولا شك ان لفظ «أدب» لو كان معروفاً للجاهلية وصدر الاسلام لورد في القرآن . ولا عبرة بعد ذلك بالقول بأن القرآن لم يستوعب الفاظ اللهجة القرشية واللهجات العربية لأن وجود معنى الأدب عند العرب وذكر القرآن له في أكثر من موضع ومكان ، بدون اتخاذ

لفظة الأدب معيبة عنه يميل بنا الى القول بأنهُ لم يكن معروفاً عند العرب. فحكم الاستاذ الشايب بأن التاريخ القديم لفظ أدب مجهول جملاً علمياً (الكتاب ص٣) رأي صائب ويمكن ان يضاف اليهِ ان هذا يحمل على عدم معرفة العرب به. أما قول المؤلف ان الكلمة عربية لأنها لم ترد في اخواتها بقية اللغات السامية (الكتاب ص٣ س ١١ ـ ١٣) والاستدلال بذلك على انها اصيلة وليست بالدخيلة، فالواقع انهُ رأي عجيب. لأن الحكم بأن مادة لفظ أصيلة في لغة من اللغات انما تقوم على اساس ورود مادتها في اخوات هذه اللغة، التي تشترك معها في جذع واحد. وعلى هذا فان صحَّ رأي المؤلف ان لفظة أدب لم ترد في غير العربية، فهذا يكون قطعاً دليلاً على انها دخيلة وليست عربية. غير اننا نعرف ان مراد فرج صاحب ملتقى النهرين يذكر لنا في معجمه م ١ ص ١٢٠/١٢٢ : ان لفظ أدب ورد في العبرية بصيغة « هئديب » بمعنى أدَّب ومنهُ «الأديب» في صموئيل الاول — اصحاح ثان فقرة ٣٣ بمعنى التأديب. وعلى هذا فالرأي الشائع عند جمهرة المتأدبين بأن لفظ ادب لم يرد في غير العربية من اللغات السامية خطأ، يجب تصحيحه

الاَّ ان ورود لفظة « أدب » في العبرية لا يقطع باصالتها في الجذع السامي. لأن تاريخها العبري مبهم. وهناك ما يميل بنا الى اعتبارها دخيلة على العبرية. فاذا لاحظنا ان اللفظة أول ما تدل تفيد الدعوة الى الولائم. فان الأدب بمعنى الوليمة — كما قال يعقوب صروف — مشتقة من Edibilis أي ما يؤكل وهو من Edere بمعنى أكل و Edimentum بمعنى أدام. والكلمات الثلاث مشتقة من مصدر واحد بمعنى الاكل، ودخول اللام لازم، والفعل أبوي قديم (المقتطف ٦٣: ٦٨/ ٧٠) ومما يؤيد هذا الظن ما أورده الاب انستاس ماري الكرملي عن ان مصدر أدب وعدف وأدم وغدء وغدى وغذى يونانية الاصل (المقتطف ٦٣ : ٢٨٣/ ٢٨٥). فاذا صح هذا فتكون الكلمة تسربت الى لغة العبريين في فترة انتشار اللغة اليونانية في فلسطين. وبهذا هذا الانتشار يرجع الى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو التاريخ الذي كتب فيه مقر صموئيل الاول كما يرجح ذلك الباحثون في تاريخ العهد القديم. ويكون تسربها الى العربية عن طريق الترجمة في القرن الثاني للهجرة. حيث استعملت في جملة معان تتفق مع جملة المعاني التي دخلت في اليونانية وفي هذا كفاية عن ما عقد من مشكل تاريخ لفظة أدب

***

اما فرض البعض ان لفظة أدب دخلت العربية من لغة اهل شومر الذين عمروا جنوبي العراق وأخذها عنهم الساميون، فيقف في سبيل قبوله ان اللفظة لا أثر لها في لغة الكلدانيين

وهم الذين خلفوا شعراً في مدينتهم وحضارتهم وثقافتهم ، كما ان لا وجود له في لغة الاراميين وهم أقرب من العرب الى السريين ، وكذلك لا اثر له في لغة حمير ، والحبريون هم اخلاف العرب الذين هاجروا من جنوبي العراق وحطوا في اليمن . وأما رأي بيتو ، فيدحضه التحليل حيث يأتي لاثبات قلب أدب من دأب بأشياء تامة ، لان بئر وآبار ورسم وآرام تختلف عن دأب وآداب في انهُ لم يشتق من آبار وآرام مفرد ان تكون الصلة بينها وبين بئر ورسم كالصلة بين ادب ودأب في الحروف والمعنى ؛ واذن فلا بدَّ لنا من رفض رأيه . وللؤلف وهو يلخص الاقوال في تاريخ لفظ ادب لم يتخذ قاعدة علمية يناقش على اساسها هذه الاقوال المتضاربة بل وقف من جملتها موقف الحيرة ، وساقها جميعها سوقاً واحداً ورجح عليها رأيه ، بدون ان يبين اوجه الترجيح . ومن هنا جاء الاضطراب في تناول تاريخ لفظ ادب ، وهل في الامكان تدارك ذلك في مقدمة الادب الجاهلي الذي بعده للاخراج هذه الايام

فاذا غضضنا النظر عن الاضطراب الذي في تناول تاريخ لفظ ادب ، وجدنا ان المؤلف يتدرَّج من بحثه هذا الى تحديد مفهوم الادب اصطلاحيًّا فيستعرض عدة آراء في تحديده ، غير انهُ لا يقف عندها ، بل يتداها الى النظر في النصوص الادبية ليتعرف طبيعة الادب منها . وهو يرى ان الخاصة الاولى للادب صفة الخلود Permanence التي تحتفظ بالنص الادبي فيبقى بمرور الزمن . وهو يرى ان الصفة تجيء في النص الادبي لانهُ يصور شخصية كاتبه فكأن الشخصية هي الاساس — عنده — في صبغ النص بالطابع الادبي . وتصوير النص لشخصية كاتبه يجيء من ان النص الادبي يعتمد على عنصر الانفعال Emotion . وهكذا عرف الادب بأنه النص الذي يبعث الانفعال في نفس القارىء

على انه يعترض على هذا الكلام ان هنالك نقلة من القول بأن النص الادبي يعتمد على الانفعال ، وهو شيء يتصل ببداعة النص ، الى القول بأن النص الادبي قادر على بعث الانفعال وهذه مسألة خارجة عن النص تتصل بنفس القارىء . والحقيقة ان هنالك من النصوص الادبية ما يبعث انفعالاً في نفس قارئها الا اذا كان من نوع خاص . فمثلاً مسرحيات شكسبير لا تثير في نفس قارىء هندي ، يدرس قصيدة المتنبي او الشريف الرضي لجهله بتاريخ العرب — عندي — ان يعتمد في تعريف النص الادبي على عنصر الانفعال في تقرير صلاحية النص لآثارته الانفعال في نفس القارىء ، لانها شيء ذاتي صرف . وقد تدرَّج المؤلف من بحثه في الادب الى صلة الادب بالحياة وانتهى منها الى الاعتراف برأي ماثيو ارنولد في ان الادب نقد الحياة . غير ان الانتقال من دائرة الانفعالات الى نقد الحياة منقطع عند المؤلف والحقيقة

ان يقال ان الادب هو نفحة من الحياة مصورة بشخصية كاتبها ، وتعتمد على عنصر الانفعال في تلوينها بشخصية الكاتب . وبيان هذا يجده في ذهن كتابنا عن خليل مطران شاعر العربية الابداعي . وعلى هذا يمكن تحديد الادب بأنه كل ما ينعكس على صفحة الزمن من جذعة معبرة عن تذوقها الخاص للحياة .

ومسألة نقل الانفعال من نفس المنشىء الى نفس القارىء مسلطة على ذهن المؤلف ، الى درجة انه يرى النص الادبي قادراً على ان يبعث في نفوسنا عواطف مشابهة لما ثار في نفس منشئه . والحق ان هذا التشابه موضع نظر ، لان شاعر الخضاء قد تكون مسلطة على نفس المنشىء فتثير عند القارىء الدهشة والرحمة . فليس شرط الاثارة التشابه في الادب

اما قسم النقد الادبي من الكتاب فالمؤلف اكثر توفيقاً فيه حيث تناول الموضوع من أصوله وقواعده تناولاً عاماً صحيحاً وهذا القسم يندرج فيه المؤلف من بحث ماهية النقد الادبي الى دراسة الذوق الادبي ، والذي عندي ان المؤلف نسي الاشارة الى ان الذوق ينقسم الى طبيعي ومكتسب . فالطبيعي ما هو شخصي والمكتسب ما يتحصل عليه الفرد من ارتياضه في كلام الغير فلا يمكن الانسان مواسمة مرءوسته في كلام ابن الرومي ان يتحصل على جانب من ذوقه يتمكن على أساسه من التفريق بين ما لابن الرومي وما ليس له . وهذا الذوق غير الذوق الشخصي . وبعد بحث الذوق يدرس صلة النقد بالناقد ومقام النقد بين العلم والفن وظيفة النقد ويندرج من كل ذلك الى بحث المقاييس النقدية من حيث الذاتية والموضوعية ويدرس العناصر المكونة لنص الادبي والتي تتداخل في تكوينها من خيال وفكرة وعاطفة وصورة . ويخلص من كل هذا الى بحث في الشعر وطبيعته ثم الى درس النقد وأقسامه ، فالقصة والاقصوصة . والكلام عنها مجمل ، والدراسة يقتضيها الكلام عن المسرحيات والتمثيل . ولا شك في ان الذي وقف المؤلف عن دراسة مقاييس القصة والاقصوصة والمسرحية الفنية هو عدم وجود هذه الضروب في آداب العرب . وكما قلنا ان المؤلف يضع قواعده النقدية مشتقة من طبيعة الادب ومن هنا لا نجد حاجة ماسة الى الكلام عن القصة الفنية وعن المسرحية فنياً

وبعد فهذا كتاب جميل بالنظر ولا يمكن ان يستغني عنه أديب مشتغل بالادب او بالنقد الادبي وحبذا لو ترجم ما فيه من هذا خير محاولة في لغة العرب لوضع قواعد منتظمة للنقد الادبي وهو من هذا العمل جدير بالثناء عليه والاعانة به

الاسكندرية اسماعيل أحمد أدهم

دستور في الميزان

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد — صفحاته ٢٢٦ قطع المقتطف
مطبعة حجازي في القاهرة — ثمنه ١٢ قرشاً

« إن الخصم الصادق في قضية الطغيان والحرية الانسانية أعدل من القاضي الذي لا يميل هنا او هناك في هذه القضية». بهذه العبارة التي يختتم بها المؤلف مقدمتهُ يلخص لبّ المهمة الواقعة على رجال الفكر في ازمات الحضارة . وهي المهمة التي خصصنا لها مقال المقتطف الاول في هذا الجزء . فالرجال الذين يؤمنون بكرامة الانسان لا بسعهم ان يقفوا متفرجين على هذا الكفاح ، لان الفكر الانساني لا يزدهر الا اذا عاش صاحبهُ في جوٍّ من الحرية وأتيح لهُ ان يمثل نتاج تفكيره الى غيره نقلاً حرًّا . فرجل الفكر يجب ان يكافح ضد الحرب وضد الطغيان لا ان يقف عجزاً متردداً ثم يزعم أنهُ قاضٍ مجرَّد عن الهوى . واذا كان لا بدَّ من الحرب سبيلاً لمكافحة الطغيان فلتكن ولتكشف لها الصدور على حد قول الاستاذ ألان نفز استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا

***

هذا الكتاب سيرة رجل وسيرة قضية . وسير الرجال تُكتب عادةً بأحد أسلوبين أوهما تقصي جميع الحقائق في حياة المترجم لهُ ثم سبكها في فصول متوالية تساير حياتهُ واطوارهُ . وثانيهما تقصي الحقائق جميعاً ثم تقليب النظر فيها لفهم البواعث النفسية التي من وراءها ، ثم رسم صورة للمترجم لهُ اساسها من الحقائق نفسها وفهم تفسيرها كما يريد المؤلف . فالاول أسلوب المؤرخ والثاني أسلوب الكاتب المفكر . في الاول يتجرد المؤرخ عن نفسه على قدر المستطاع . وفي الثاني ينظر الكاتب الى موضوع كتابه من خلال مزاجه الخاص ونهجه لنواحي الحياة ، وأشهر كتب السير في العصر الحديث كان على النمط الثاني مثل مؤلفات ستراتشي الانكليزي ومورواي الفرنسي وزفيج الالماني وغيرهم عشرات وهي أبعد ان تكون من كتاب المؤرخين

وكتاب الاستاذ العقاد في الخر هتلر ليس كما سيرة ناقصة لتواضع صاحبه . لكن قصره التي احتوت على سيرة الخر هتلر ووصف حياته وخلقيا أقرب الى الاسلوب الثاني أو نهجه صعيده ، أي ان المؤلف طالع كل المعروف عن حياة الخر هتلر او جاباً كبيراً منه وقلب النظر في الحوادث والحقائق وحاول ان يردها الى اصول نفسية مبينا كيف تأثرت حياتهُ بالوراثة والاطوار النفسية وطبائع الاجتماع التي نشأ فيها هتلر . وخلاصة رأيه في هذه الناحية — مع اعترافه بما تمَّ على يديه — يخالف رأي الكثيرين مما يحسبونهُ من أعاظم رجال العصر . فقياس العظمة في رأي المؤلف ليس تعظيم الرجل بمقدار السيطرة التي في يديه او بمقدار الضجة

التي يثيرها من حوله ؟ . وعلى هذا الأساس عالج الاستاذ العقاد الظروف التي أفضت الى رفع هتلر الى الذروة — وفي هذه الناحية نظرات صادقة في مساعدة فرساي وشكاوى الألمانيين منها ومشكلات المستعمرات ودائرة وفسحة العيش او المدى الحيوي — ثم الافكار التي جعلوا اساساً خطته الداخلية والخارجية ومن استمدها من الكتاب والفلاسفة ثم تحليل نفسه وطبائعها من ذهنية وخلقية. وفي جميع هذه الفصول من النظر الصائب في طبائع الرجال ومشكلات الاجتماع ما يجعلها جديرة بالعناية من ناحية الثقافة وحدها لو لم يكن موضوعها من اهم ما يجب معالجته والعناية به في هذه المحنة التي يجتازها العالم الآن

وتحليل شخصية هتلر وسياسته لا يمكن ان ينفصل عما دعاه الاستاذ العقاد « قضية اليوم وقضية الغد » وهي « قضية الطغيان والحرية الانسانية او قضية الايمان بالسلاح وحده والايمان بشيء في الحياة والحضارة غير السلاح » ... « هل أصاب او أخطأ في شتى مايه تجرب دون غيرها ؟ قل انه أصاب او قل انه اخطأ فليس هذا مقطع القول الآن ، وانما مقطع القول ان الذي يضمره او يتمنى له النصر يخطىء كل الخطأ ولا يصيب في حقه ولا في حق العالم أي صواب ! ... ثم ؟ هنا مفترق الطريقين في قضية اليوم . طريق الايمان بالقوة الحيوانية تبقى اليوم كما كانت بالامس وتبقى الى آخر الزمان كما كانت في اول الزمان ، فلا تبديل ولا رجاء في التبديل ولا خير فيه لو كان الى تحقيقه سبيل وسيسود القوي العالم ويدعي ان يسوده وانه اكبر واعظم ولا عبرة بما يعقل به طلاب الحق العدل من الآمال والاحلام ... وطريق الايمان بشريعة في الحياة غير شريعة القوة الحيوانية وهي شريعة الحق والانصاف والامل في تقدم الانسان الى سنن في المعاملات بين الامم والافراد وراء سنة الكيد والغلبة . والطريق الثاني هو طريق الصغار طبعاً

وفي ذلك في الكتاب فصول تامة حقاً في خصائص الديمقراطية والفوارق بينها وبين النازية في الأخلاق وطريقة حل المشكلات والنظر الى الحرية والصحة

* * *

[illegible] كما كان في اليوم حلماً من الأحلام او واحداً من خواطر المتخيلين . وهل كانت تدري يفتي أن تقوم على اساس غير اساس الاشتراك في الحرمان او الاشتراك في دفع الحرمان ؟ فما هي هذه الأسس ؟ أن الصفحات ... الى ... من هذا الكتاب تجيب القارىء بجملة خلاصة من مبادئه

وضع المؤلف الامر هتلر من حيث هو زعيم والقضية التي يمثلها من الناحية فعلها بمستقبل الانسان في ميزان العقل والتاريخ والاجتماع وخرج من الموازنة بأن المستقبل ليس له ولا القضية التي يمثلها

الحلل السندسية
في الاخبار والآثار الأندلسية

للامير شكيب أرسلان — عدد صفحاته ٥٠٠ غير الفهارس — مطبعة الهلال بالقاهرة

ظهر الجزء الثالث من كتاب الحلل السندسية وهو كسابقيه يفيض من علم الأمير واحاطته بالتاريخ الأسلامي وحسن تصويره وعلو مقامه البياني مما لا حاجة الى الاشارة اليه. فكل ذلك مشهور غير منكور

والجزء الذي ظهر اليوم هو ثالث من عشرة أجزاء نرجو أن يفسح الله في عمر الأمير حتى ينجز ما وعد ويحقق ما قصد. وتلك أمنية نرفعها بعد الله الى الأمير علها تصادف في السماء دعاء وتلقى عند ربه استجابة

ويشمل هذا الجزء الكلام على ملكتين من الأندلس هما بنسية وملحقاتها، ومرسية وتوابعها. وكلام الأمير عن الأندلس بوجه عام يتصل بالجغرافية بأقسامها، ويمتد الى الأدب والتراجم، وينتهي الى الحكاية والتاريخ. وينخلل ذلك كله نظرات حاذقة وتشعب من أصل، وتعليق على فرع واستطراد ذكي يدل على اطلاع محيط، وممرفة شاملة، وأحاطة كاملة

لما دفع الي الصديق محرر المقتطف الفاضل هذا الجزء لأقوم فيه بكتابة الحواشي من ضخامة الجزء وامتلاء ما بين دفتيه. ولكني أخذت أنس حتى قراءته وتستموا على التأخير حتى الفراغ من كثرة الشواغل واختلال الأعصاب من كثرة الأحداث وروعة أنبائه في حرب جبارة شعواء نسأل الله الخلاص منها. ووالله لقد كان كل فصل أفرغ منه يُخيل لي الى فصل أقسى أنهي. حتى تمت لي الفائدة من مطالعة الكتاب برمته

وفي قلم الأمير من السحر ما كان في عصا موسى. فاذا ما انتهى الحبر الى القرطاس وأورقت عليه شعاب فكره الحوافل رأيته يلتقف كل أفك ويزيد كل حق بيانا ويقيم القارئ الناقد، ولكنه قلما الأديب الأدبي الناقد. فاذا قال لأقوت من معجم البلدان أو المشتبه في الأسماء قال الأمير شكيب! ليست نقلت من عمل لاروس. فللذي يخطئ في النسخ فبدلاً من أن يكتب من عمل دابة كتب الناسخ من عمل لاروس. (ذكر بعض الأخطاء)

ويصحح الأمير أخطاء المؤرخين من الفرنج، ويرجح الصحيح من الأقوال التي يصحح بها أخطاء المؤلفين من العرب. فقد ذكر مؤلف (تاريخ مرسية) وهو أفرنجي أن ولاية تدمير الأندلسية مسماة باسم تدمير السورية فيصحح الأمير ذلك بقوله: والذي نعلمه أنهم سموا ناحية أوريوله أو أوريولة بتدمير اسم الأمير الذي كان يليها عند ما جاء العرب)

وكنا نود أن يحقق الأمير ما لديه من مراجع واسمة اسم قائل القصيدة التي أولها

فادفك أندلس فلبٌ فداءها وأجعل طواغيت الصليب فداءها

والتي لم يذكر في فتح الشيخ اسم قائلها . فان من يهم بنشر قصيدة في رثاء الأندلس لأحد اخواننا المسيحيين اللبنانيين المعاصرين لا يعز عليه أن يتفقد اسم شاعر عربي قديم من بكوا هذا الفردوس المفقود

وممتاز كتاب الأمير الجليل علاوة على ما فيه من علم وفضل وأدب وتاريخ وتحقيق بأن فيه صوراً حية للاندلس المعاصرة . فكأن عين الأمير — سلمها الله — تفوق في الدقة وابراز التفاصيل وصدق النقل ما في السوق من عدسات « كوداك » و « شنيدر » وما اليها . . . فقد رأى سكوه الأندلس رأي العين وتنقل بين ربوعها ، واختار سهلها وحزنها ، واستنّ جوادها وطرقها ، وأوى فيها الى وارف من الظل ، ودانٍ من القطوف ، وشديد من الأركان ، وجمع الى وصفها القديم وصفها الحديث . وكتابه وصف للصورتين ، وجمع الحسنيين . فهو بغير شك روضة من رياض الأدب الرفيع تصف روضة من رياض الدنيا كانت للاسلام ؛ ثم انثنت تلك الشؤن وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

لكل شيء اذا ما تمّ نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمنٌ ساءته أزمان

***

لا تتسع هذه الكلمة لايراد كل ما في النفس عن هذا الكتاب النفيس ، الاّ اني أنقل هنا بعض عبارات الأمير في أثناء حديثه عن قرطاجنة . وما اختياري لهذه العبارات دون غيرها لمزية فضل على ما سواها . فالكتاب كله عال عند الأمير . قال حفظهُ الله

« وبعد نحو ساعة من مسيرنا دخلنا في أرض ذات آكام قاحلة وأودية يابسة . ثم لم نزل هذه الآكام تصاحبنا والبحر من جهة أخرى يصاقبنا حتى رجعت الأشجار تظهر شيئاً فشيئاً لاسيما الخروب والزيتون والتوت . . . قال بعد كلام : « ثم وصلنا الى محطة بلدة اسمها غاتافه ، حول أسوارها قناة ، وهو محرقة لا بأس بها ، ثم سرنا وراء الجبل المشرف على البحر وأخذت الأرض حولنا تتبدل في الخضرة لكن الخروب لا يزال كثيراً »

لاشك أن هذا الأسلوب في تقاسيم البنيان وأوصافها وجغرافيتها هو نوع من الأدب العالي الذي اشتهر به بيان الأمير . واذا كان في بعض كتب الرحلات — كرحلة ابن بطوطة مثلاً — بعض الضعف في التعبير وبعض التكلف في التسجيع وخاصة المقدمة والخاتمة ، وكثير من السهولة التي تقربها من انشاء العامة . فان رحلة ابن أرسلان هي المثل الأعلى في البلاغة والانشاء والله يؤتي فضله من يشاء ، والله واسع عليم القاهرة محمد عبد الغني حسن

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة

تأليف ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني — القسم الاول المجلد الاول — اخرج باشراف كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول — بمعرفة لجنة التأليف والترجمة والنشر

وصف الدكتور طه حسين بك هذا الكتاب في مقدمته بقوله « انهُ اصل من اصول الأدب العربي الاندلسي ومرجع من اهم مراجعه دفع صاحبهُ الى تأليفه امران ، احدهما حبهُ لوطنه الاندلس وحرصهُ على ان يثبت لها تفوقها في الأدب والعلم وان يثبت ان هذا التفوق لعاصريه خاصة لكثرة ما رأى من افتتان الناس من اهل افقه بالشرق واداببه وعلمائه واعراضهم عن الاندلس وما انتجت من أدب وعلم . والثاني حرصهُ على تقليد الثعالبي في كتاب اليتيمة الذي صوَّر فيه ادب معاصريه من الشعراء والكتاب . . . »

وبعد ما تتبع الدكتور طه وجوه الشبه بين الذخيرة واليتيمة وأسلوب المؤلفين بيَّن الباعث الذي حمل كلية الآداب على نشر هذا الكتاب قال : « رأى قسم اللغة العربية ان النشاط الأدبي في مصر الحديثة لم يشمل الأدب العربي في الاندلس ولم يسع اليهِ الا في تردد واستحياء . فأراد ان يغير من هذه الحال وان يمد نشاط الحياة الادبية الى هذه الناحية التي لم يلفها . ورأى ان هذا الكتاب قد جمع طائفة ضخمة من ادب الاندلس شعراً ونثراً وتاريخاً . فرأى فيهِ مجموعة صالحة من النصوص الادبية التي تصلح للدرس والتي سهلوا ان درست ان تجلي وجهاً او وجوهاً من الأدب العربي في بعض بيئاته وفي بعض عصوره ، فأقبل على نشره واذاعته رجاء ان يكون ذلك سبيلاً الى درسه وتعمقه واستخراج مايمكنُ من ثمرات النظر . »

ويعترف الدكتور طه بأن الفضل في تمكين القسم من نشر الكتاب يعود الى المستشرق الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنصال . فقد أنفق جهداً عظيماً في البحث عن هذا الكتاب وجمع أجزائه وكان يهمُّ بنشره في ليدن عندما اتصل الحديث بين الدكتور طه وبينهُ عرضي ان يعدل عن مدينة ليدن الى مدينة القاهرة وعن الانفراد بنشر الكتاب الى المشاركة فيهِ .

وقد عاون المستشرق الفرنسي في عمله طائفة من شباب الجامعة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب وهم محمد عبده عزام وخليل عساكر وبحاطره الشامي فيأخذ النص فيطبع بعد مراجعة ما اجتمع لهم من النسخ وتقويم ما أعوجَّ فيها والسوى على النساخ . وكانت لجنة من الاساتذة قوامها أحمد أمين، ومصطفى عبد الرازق، وعبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عزام، وليفي بروفنصال وطه حسين أن تقرأ ماهيأت اللجنة الأولى من النص « يقرؤهُ كلٌّ منهم منفرداً ثم يقرأونهُ مجتمعين » . وقد اضطرَّ الاستاذ بروفنصال الى العودة الى عمله في الجزائر وفرنسا وتولى الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق الوزارة فانقطع عن عمل اللجنة فمضى الباقون في هذا السبيل النفيس

إذا استثنينا مخاطره الشافعي فانهُ انقطع فترة قام في خلالها برحلة قصيرة فأضيف الى لجنة الأولى شبان من شباب القسم المتخرجين فيه وهم عبد العزيز الاهواني وعبد القادر القط

وأنجزت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع هذا الخبر على أوفى ما يكون الاتقان وجاء في ٤١٧ صفحة كبيرة مضبوطة بالشكل وفي هوامشها الفراءات المختلفة المتفرعة من مخطوطات التي اعتمدت لدى المخرجين . والحق يقال انهُ ذخيرة من الأدب النفيس

تاريخ الاندلس

في عهد المرابطين والموحدين — تأليف المؤرخ الالماني يوسف اشباخ — ترجمه وعلق عليه الاستاذ محمد عبدالله عنان — طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة — حقوق طبعه محفوظة للمعهد العالمي بمطوان

هذا الكتاب من امهات الكتب التي ألفها علماء الفرنجة في تاريخ الاندلس ومؤلفهُ المؤرخ الالماني يوسف اشباخ ينتمي الى هذه المدرسة التي نشأت منذ اوائل القرن التاسع عشر لدراسة التاريخ الاندلسي على ضوء المصادر العربية . وقد ولد في هكست من اعمال النمسا والمانيا في سنة ١٨٥١ وتولى التدريس في جامعة فرانكفورت ثم في جامعة بون ودرس العربية على يد دوزي تاريخ اسبانيا المسلمة عناية خاصة ووضع في ذلك مؤلفين وهما « تاريخ العرب في اسبانيا » في مجلدين وهو يتناول تاريخ الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الدولة الاموية وقيام دولة الطوائف . والثاني تاريخ اسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين في مجلدين وهو يتضمن تاريخ الاندلس وتاريخ اسبانيا بوجه عام منذ قيام دول الطوائف حتى انحلال دولة الموحدين وتاريخ المغرب ايضاً في ظل دولتي المرابطين والموحدين .

والكتاب الذي بين ايدينا هو القسم الاول من هذا المؤلف النفيس وهو يتضمن تاريخ الاندلس والمغرب في عهد المرابطين وقيام دولة الموحدين وتاريخ المقاطعة والحالة الاسبانية النصرانية في تلك الفترة

ولا يخفى ان الاستاذ محمد عبد الله عنان من عدة المعاصرين الذين عنوا بدرس وبحث التاريخ الاسلامي في مختلف عصوره وقد بذل على ترجمة هذا المؤلف الجليل مجهوداً يستحق الثناء عليه خدمة كبيرة يسدي الى المكتبة العربية في الشرق اجمع . وقد تقدم من وصف الكتاب ومؤلفه عن مقدمته ومن قوله فيها ايضاً « ومع ما قد مضى على صدوره اكثر من مائة عام فانهُ لا يزال محتفظاً بكثير من قيمته فهو يعتمد على المصادر الاسلامية ويتمتع بما انتفاعاً كبيراً بالرغم مما يردُّ فيه احياناً من خطأ او تحريف وقد صحح المترجم هذه الاخطاء واشكل البحث في تعليقاته . وما يمتاز به في نظرنا هو دراسته المصادر النصرانية الى جانب المصادر الاسلامية وتمحيص الروايات من الجانبين وتقدير وجهات النظر المختلفة . »